

العناية اليومية لآلاف الفلسطينيين على نقاط التفتيش

المصدر: www.machsomwatch.org

ترجمة: جنان علي جاسم

جامعة بغداد/ مركز الدراسات الفلسطينية

الغالبية العظمى من الشعب الفلسطيني أبرياء تماما من أية نشاطات إرهابية، جل ما يريدونه هو أن يعيشوا حياة طبيعية لكن الاعتماد المطلق على التراخيص حول حياتهم إلى جحيم مطلق، بعد أن قررت الإدارة الإسرائيلية أنه إذا أراد أحدهم الخروج من منزله، أو زيارة أهله، أو الذهاب إلى مكان عمله، أو الدراسة، أو زراعة أرضه (محاطة بسياج الكتروني)، أو تلقي علاج طبي، أو الولادة في المستشفيات (فلا بد له أن يمر عبر نقاط التفتيش).

(جيروسالم) المدينة المقدسة وهي المهد لثلاث أديان سماوية من أصل براهيمي: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، وبدون شك الغالبية العظمى من السكان الفلسطينيين سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين لا يملكون التراخيص اللازمة لدخول مدينتهم المقدسة من أجل أداء فريضة الصلاة، ولا حتى في شهر رمضان، خصوصا بعد الانتفاضة الثانية للعام () د بنت حكومة إسرائيل نظام مراقبة محكم وفرضت تقييدات على دخول القدس أمام السكان الفلسطينيين.

() محامي فلسطيني من المدافعين عن حقوق الانسان يعيش في مدينة (بلين) عن القدس عمل لسنوات عدة في إحدى المنظمات غير الحكومية في القدس الشرقية مما يتطلب منه المرور معظم أيامه عبر نقاط التفتيش، مع إنه متزوج من أمريكية ويملك جنسية وجواز سفر أمريكي، إلا أن هذا لم ينفعه كثيرا فإسرائيل تعتبر هذه البيانات غير ذات صلة وتفيده فقط عندما يسافر خارجاً (وفي هذ الحالة يتوجب عليه السفر عن طريق عمان، إذا تركوه يعبر حدود الاردن، لأنه ممنوع من دخول مطار تل

أبيب)، وذلك لكونه يحمل الجنسية الفلسطينية أي (غير مقيم) في القدس، ولكونه على اللانحة السوداء، فممنوع عنه إستحصال رخصة للدخول إلى القدس منذ عشر سنوات .
 () مواطن فلسطيني شاب مولود في الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن هاجر والداه إليها قبل عقود ، أيضاً جواز سفره الأمريكي لم ينفعه كثيراً عندما قرر العودة للعيش في فلسطين ، يعمل حالياً في منظمة عالمية مسيحية، ويعيش بالقرب من رام الله ، ولديه رخصة للعمل في القدس ، ولكن كونه لايمك () فيها فإن مسألة دخوله المدينة المقدسة قيدت بشكل كبير فمن بين أمور عدة : لا يستطيع قيادة سيارته ، محظور عليه التنقل داخل المدينة ولو باستخدام تاكسي ، لا يمكنه تأجير أو شراء مسكن ، أو حتى أن يطلب إقامة في القدس ، وبما أن رخص العمل لها فترة نفاذ غير ثابتة (أشهر) عملية تجديدها تستغرق مايقارب الشهر أو الشهر ونصف منع من خلالها من دخول القدس ، مع هذا وأثناء عمله في هذه المنظمة إستطاع أن يحافظ على وظيفته.

ويقول خلال الفترة التي عشت فيها في القدس (شهرأً ونصف)
 ونساء من مختلف أنحاء الضفة الغربية ، بالتحديد () مدينتي عرفت منهم معاناتهم جراء عدم قدرتهم على زيارة مدينتهم المقدسة وحنينهم إليها . في كل مرة أجتاز فيها نقطة تفتيش مدينة قلنديا ينتابني شعور بالذنب لأنني أقوم بشيء يحرم منه ملايين الرجال والنساء الفلسطينيين منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي للقدس في إسرائيل مسألة حرمان الفلسطينيين المولودين هنا بما يسمى () في بلدهم "الهوية الزرقاء " ، هذه القيود المفروضة على عملية إستحصال الوثائق ، ناهيك عن عملية شراء منزل أو الحفاظ على ما تملكه أصلاً جعل الفلسطينيين يعيشون تحت تهديد مستمر ، وبدون شك فالتمييز والهوة العميقة الموجودة بين القدس الشرقية ، والقدس الغربية من ناحية الخدمات ونوعية الحياة (كالفرق بين الدول الاسكندنافية ودول أمريكا اللاتينية). علاوة على ذلك فإن الفلسطينيين الذين يحملون () الشرقية تقلص عددهم بشكل سريع ومنتظم ، لأن إسرائيل تعمل المستحيل من أجل أن تنال أهدافها الديموغرافية بأن يصل تعداد سكانها من الإسرائيليين إلى % ، وعلى هذا الأساس فقد ما يقارب الـ () مواطن فلسطيني فقط في العام إقامتهم في مدينتهم لأسباب تعسفية متطرفة كـ " إنهم غير أوفياء لدولة إسرائيل " وذلك حسب تشريع الكنيسة ، مع إن القدس لم تكن جزءاً من دولة إسرائيل ، بل تابعة للأراضي الفلسطينية المحتلة ، وجزء كبير من الدولة الفلسطينية .

الأسوأ من ذلك كله هو أوضاع الفلسطينيين غير المقيمين في القدس فلديهم فقط رخصة عمل في المدينة ويحمل هـ "الهوية الخضراء" وتراهم يعيشون تحت وطأة تهديد كبير بأن يفقدوا وظائفهم تحت أية ذريعة تعسفية وغير مبررة (عملهم سيؤدي تلقائياً إلى فقدان رخصة دخولهم القدس)

بصورة متكررة أمر وارد الحدوث لأي شخص كان لأن عليه المرور عبر نقاط التفتيش في قلنديا أو جيلو جنوباً .

صفوف تتوافد من الجالسين في إنتظار المرور عبر نقطة التفتيش في تمام الساعة الرابعة صباحاً من أجل الوصول إلى العمل الذي يبدأ في الساعة السابعة أو الثامنة صباحاً، لأن فقدان الوظيفة أسوأ شيء يمكن أن يحدث للمواطن الفلسطيني خصوصاً في بداية هذا العقد بعد الإنتفاضة الثانية ،كل يوم يفقد الآلاف من الفلسطينيين وظائفهم في إسرائيل الامر الذي رفع معدلات البطالة في بلد اقتصاده يتم خنقه والتحكم فيه من قبل . رخص العمل اليوم في إسرائيل تدار من قبل أرباب عمل ،وسما

المافيا يمنحونها بصعوبة هدفهم الرئيس من ذلك هو ضمان عمالة رخيصة لإسرائيل (عبر تقييد عملية دخولهم) " " "في الولايات المتحدة بتزويد عمالة رخيصة من المكسيكيين والامريكيين.

ولقد ذهبت هذا الاسبوع برفقة أثنين من زملائي في برنامج المراقبة إلى مدينة القدس من أجل مراقبة ما يحصل في نقطة تفتيش قلنديا ،وصلنا في تمام الساعة الخامسة (تخيل لو كانت الزيارة في الرابعة صباحاً من شهر

ديسمبر أو يناير) ،مئات الرجال يتزاحمون ويتدافعون من أجل ان يجدوا لهم مكاناً الصفين المخصصة لذلك اليوم ،من أجل عبور البوابة الحديدية ليصلوا بعد ذلك إلى صفوف مؤدية إلى كابينات محصنة مخصصة لفحص الوثائق ،وعلى الجانب مجموعة من رجال كبار السن يبلغون اكثر من خمسين سنة ،ونساء وأطفال ينظرون الدخول عبر ما يسمى (أقيمت لهذا) .

أذهلني ما رأيته ل :رجال متكدسون ويتشاجرون فيما بينهم من يمر أولاً ،يتسلقون الشبابيك الحديدية أو ينتظرون قريباً منها (أشبه منهم بعصافير محبوسة أكثر من كونهم بشراً) يرمون بمتاعهم خلف الأبواب ليلتقطوها بعد ذلك ،يصرخون ،يتدافعون ،وفي أحيان غريبة يتمازحون ،وحتى يضحكون ... رأينا امرأة شابة حبلى تضع كفها على خدها واقفة أو جالسة القرفصاء مع رفيقات لها وحتى طلاب مدارس وثانويات ،لأن بوابة (الدخول الإنسانية) و رأينا

رجلاً كبيراً في السن أعمي عليه وبعد إنتظار طويل وصلت سيارة إسعاف عسكرية نزل منها جنود حملوه على نقالة إلى منطقة أمنية ، شاهدنا عائلة_مثل العديد من القصص الفلسطينية - قسمتها نقطة التفتيش : " " " وعمل في المدينة توصل إليها الأكبر إلى المدرسة ،والزوج يودعهم حاملاً بين ذراعيه طفله الصغرى على الجانب الاخر من نقطة التفتيش لأنه ممنوع من دخول القدس.

الحشود المتزاحمة إلى أن يخف الازدحام وطبعاً يستغرق ذلك الامر مدة طويلة، حينها طلبنا من اثنين من هؤلاء الرجال أن ينادونا عندما يعبرون إلى الجهة الأخرى، الاول تاخر ساعتين ونصف فقط لمجرد عبوره نقطة التفتيش، أما الآخر فقد إستغرق ت وأسمه (أيمن) والذي قال لنا إنه وصل إلى نقطة التفتيش في الساعة الرابعة صباحاً لأنه إذا لم يتمكن من دخول المدينة في الساعة السابعة صباحاً سوف يضيع عليه النهار كله ويتعرض للطرد من العمل، والاطخر من ذلك فقدان إقامته في مدينته، نقاط التفتيش فعلاً يمكنها أن تغير حياة الناس .

من الواضح أن هذا النظام مصمم خصيصاً كشكل من أشكال العذاب الجماعي، فأعداد الصفوف وكابينات فحص الوثائق غير كافية تماماً، وتصرفات الجنود المهينة وغير المبالية، ومن حين لآخر تغلق نقاط التفتيش بدون تفسير، أو بوجود مسؤول يفتحها عن بعد، والجنود يجلسون في غرف حسيئة يتحدثون فيما بينهم، ويتمازحون، ويضحكون، وياكلون، ويشربون غير عابنين بمعاناة المنات والمنات من الفلسطينيين الذين ينتظرون كالقطيع حيث تعتمد حياتهم واعمالهم ومستقبلهم على مزاج هؤلاء.

من العسير تماماً وصف هذه الهيكلية، وليس من مجرد النظر إلى هؤلاء الشباب الواقفين في صفوف، أو رؤية ام تحمل رضيعها بين يديها ملفوف في بطانية وهي تقترب من احد الجنود الواقفين لتطلب منه الاذن بان تنقل ابنها الى المستشفى .
وصف هذا الوضع فلايهمهم مدى خطورة مرض هذا المخلوق ولا يهتمهم انها لا تستطيع ان خذه الى المستشفى في اليوم التالي.

نلتقي يومياً بعضوين من منظمة () ،وقاعدتها من النساء أنشنت لرصد نقاط التفتيش على الاراضي الفلسطينية المحتلة وفي القدس من أجل توثيق جرائم العنف ضد حقوق الانسان التي يرتكبها الاسرائيليون .
حيان يسمحون لهم بالنفاذ الى موظفيهم وجنودهم وفي أحيان أخرى يتمكنون من عمل وساطات لتخفيف بعض الاوضاع كتسريع مرور الاشخاص عندما يكون الصف بطنياً ()
اكثر من مرة بعد حادثة اغتيال فلسطينية في مستعمرة إيتمار غير الشرعية بالقرب من ()

اما الجانب الصحي فهو موضوع بحد ذاته خطير جداً، فسيارات الاسعاف الفلسطينية ممنوعة من الدخول إلى إسرائيل، لهذا الشخص المريض او المصاب بحادث بغض النظر عن درجة خطورة حالته حيث يترك في مكانه حتى في اقصى الظروف المناخية إلى أن تأتي سيارة اسعاف اسرائيلية من الجانب الاخر، حتى افضل المستشفيات الاسرائيلية في القدس محرمة على الفلسطينيين !

يعلم نشطاء () أن دورهم يقتصر على نقاط التفتيش فقط ، لكن يستطيعون الولوج بشكل مباشر إلى سلطات عليا ونجحت جهودهم في أحيان كثيرة كنيل تصاريح ، تأجيل ، أو رفض ، في إحداث تغيير مهم في حياة شخص ما أو عائلة معينة . وبدون شك يعي هؤلاء النشطاء أنهم ومن خلال مساعيهم هذه هم موظفون بشكل أو بآخر لدى الاحتلال ، مما ولد لديهم تناقضات داخلية يصعب التعايش معها .

وحكى لنا هؤلاء انه في الماضي كانت تقع تصادمات جسدية بين ج والشعب الفلسطيني ، وأحيانا تفتح هذه التصادمات حواراً ما او وساطة إنسانية ، إلى ان عمدت الحكومة الإسرائيلية الى إستبداله بنظام لا إنساني لمنع مثل هذه الاحتكاكات بين كلا الجانبين . من حين لآخر تسمع صوتاً غامضاً ناطقاً باللغة العبرية عبر مكبرات مزعجة يتفوه كلاما غير مفهوم ، والجنود تراهم بعيدون خلف القضبان ا و داخل غرف حصينة من الصعب الوصول إليهم .

ومع كل ما تسببه نقاط التفتيش من رعب فهي مجرد جزء من نظام تحافظ عليه إسرائيل يضم وثائق وهويات وتصاريح بالأقامة والعمل والسفر ، وحتى تصاريح خاصة (ذات بيانات حيوية ، وبصمات أصبع رقمية) تعقيدات إضافية أمام عمال البناء الذين يعانون من تلف أصابعهم ، أشخاص على اللانحة السوداء ، جدران اسمنتية ، سياجات الكترونية ، بوابات للمزارع ، غلق الطرق بمتاريس ترابية ، طرق خاصة للمستعمر الإسرائيلي ، انفاق ، وأشكال أخرى من الحصار ، والغلق ، والتشردم كلها موثقة بكل دقة ، وموضوعية من قبل مكتب الشؤون الانسانية كلها حولت الاراضي الفلسطينية الى مجموعة جزر او قطاعات معزولة .

كل ذلك جعل من الصعب على الشعب أن يحظى بأبسط الخدمات الاساسية المقررة () من معاهدة جنيف التي صادقت عليها إسرائيل مثل : استخدام الخدمات الطبية () ، المؤسسات الدينية () ، والتعليمية () زيارة الاهل () هي حقوق تأثرت بشكل درامي ، مع هذا هناك صرخة من داخل وخارج إسرائيل لتغيير هذا النظام ولكن يتم التغاضي عنها بشكل نظامي . والتشابه الكبير بينها وبين الجيتو الذي اقامته المانيا النازية أو سياسة التمييز العنصري .

نشطاء محشوم عبروا عن هذا الامر بشكل بليغ جدا عجزت انا نفسي عن قوله : "لدينا المنات من القصص والشهادات عن نقاط التفتيش التي تسبب اذلالاً ومعاناة لا توصف لشعب كامل محروم من عيش حياته بكرامة ، فالسياسات غير المترابطة التي تُطبق

عبر نقاط التفتيش تضع الشعب الفلسطيني في خطر انهيار تام: من المستحيل التنقل، ونيل علاج طبي، كيف يمكنهم العيش هكذا.

" التفتيش يمكن ملاحظة الكابوس الذي يمر به طواير لا نهاية لها وهي تدعن للمطالب التعسفية فقط لنيل وثيقة ما او استحصال رخصة ضرورية لنيل رخصة اخرى لايمكن مقارنتها بالحياة المترفة التي يعيشها الاسرائيليون فالعكس ."

علاوة على هذا الاريابك الإداري ،وضعت الحكومة الإسرائيلية ثقلاً إضافياً على كاهل الرجال من الشعب الفلسطيني من خلال زيادة العقوبات البيروقراطية: خاص من اجل الصلاة خلال شهر رمضان ،إذن للعيش في منزلك الخاص اذا كنت تسكن قريباً من الجدار ،إذن خاص لعبوره ،إذن للدخول والخروج من الجيتو ، إذن للت الضفة الغربية بين المستعمرات الاسرائيلية

وفي الوقت الذي يُطالب فيه الشعب الفلسطيني باستحصال المزيد والمزيد من الاذونات ،زادت تعقيدات البنية البيروقراطية الموكلة بهذه التصاريح ،فعلى المتقدم لنيل تصريح ما ان يحضر معه تأييداً من رب عمله ،موافقة من المركز الذي يدرس فيه ،موافقة خاصة من اجل قيادة سيارته ،تأييداً خاصاً من المستشفى التي يرتادها ... ظهرت فيه الكثير من طرق غير الشرعية ،ويشمل المصطلح ايضاً العمال بدون تصريح لدخول الاراضي الفلسطينية والفلسطينيين المنتشرين بشكل غير شرعي داخل اراضيهم في الضفة الغربية .

على ضوء ما تقدم ،لا مفر من التوصل الى الاستنتاج بان أي حكومة اسرائيلية تضطهد عمدا الشعب الفلسطيني وتطبق عليه سياسة تعذيب بيروقراطية ،في الوقت الذي تتجاهل فيه تماماً مسؤوليتها (عن حياة السكان على الأراضي الفلسطينية) .